مولد الرفاعي

[ألقيت في حفل الليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بإنشاص في ٢٢ مايو - أيار - ١٩٥٢، بحضور الشيخ عبد العظيم عيد نائب إنشاص].

دعاني إلى الإنشادِ شوقٌ سما ليا ... وما كنتُ لولاَ هِزَّةُ اشوقِ شاديا
رمتني صروفُ الحادثاتِ بسهمها ... وحسبي شقاءً أن أرى الحبَّ دائيا
أأُخفي وفي الإخفاءِ نارٌ ولوعةٌ؟! ... وأكتمُ والكتمانُ يُدمي فؤاديا
وقد بِتُّ يُضنيني حديثُ عواذلي ... إذا ما رأوا دمعي على الخدِّ جاريا[1]
يقولون صَبٌّ قد ألمَّ به الهوى ... فأورثَهُ سقماً على الوجهِ باديا
ألا قاتلَ الله البكاءَ فإنهُ ... بما في فؤادي كان للقومِ واشيا[2]
سيرثي لحالي مَن أطالوا مَلامَهُمْ ... إذا حَملوا في حُبِّهم بعض ما بيا
يقول خليلي عندما شَفَّنيَ الأسى ... فرحتُ أناجي الربعَ هيمانَ صاديا[3]
ألا أيها الباكي على طَلَلِ الهوى ... تنادي: سقى الله العمودَ الخواليا[4]
وتشدو قَريضاً كلُّه الحب والنوى ... به الشوقُ والذكرى لكَ الله لاهيا

---

(١) العواذل : جمع عاذل وهو اللائم المبغض.

(٢) الواشي : المخبر بالأسرار.

(٣) شفَّني الأسى : أهزلني الهم. الربع: مكان نزول القوم وهو مشتق من الربيع. هيمان صادياً: عطشان كثير العطش أهيم على وجهي من شدته.

(٤) الطلل : ما شخص من آثار الديار. الخوالي : التي مضت.

دع الوجدَ واترك ذكركَ العشق جانباً ... وكفَّ عن التشبيبِ واسلَ الغوانيا[1]

وسرْ بالقوافي نحو قومٍ أعزةٍ ... ومجِّد بذكرِ الأكرمينَ القوافيا[2]

رجالٌ إذا ما المزنُ ضنَّت بماتها ... همُ القطر، كلا بل همُ الغيثُ هامياً[3]

متى تأتِهِمْ تلقَ السماحَةَ والندى ... وإن عدتَ من دارٍ لهمُ عدت راضياً[4]

أبوهم إمامُ الهدى والجودِ هاشمٌ ... كثيرُ الأيادي عاشَ للخير هاديا

همامٌ بنى للدِّينِ مجداً مؤثَّلاً ... وشيَّدَ صرحاً للحنيفةِ عالياً[5]

تَغَنَّى مقيمٌ في الديارِ ببرِّهِ ... ومَن سارَ في الظلماءِ للبيدِ طاويا

يجودُ إذا ضنَّ الجوادُ بنفسهِ ... ويرعى لحقِّ الضيف ما دام ثاوياً

ولا خيرَ إلا كانَ للخيرِ رائداً ... ولا جرحَ إلا كانَ للجرحِ آسيا[6]

هو العلمُ والتقوى. بهالخيرُ والهدى ... له الدِّينُ والدنيا، أنارَ الدياجيا

فهذا الذي إنْ عاشَ يحيا مكرماً ... وإنْ ماتَ يمضي خالدَ الذكرِ باقيا

* . * . . . . * . *

ألِمَّ بقبر الشيخِ إن جئتَ زائراً ... تجد عندَ قبرِ الشيخِ للخيرِ ناديا

هناكَ وجوهٌ، ظلَّها الله بالهدى ... وصَبَّتْ عليها من سناهُ الغواديا

دعاها إلى الخيراتِ داعٍ فأسرعت ... تلبي إلى الخيراتِ في الله داعيا

وليسَ لعمري من يبيتُ على هدى ... كمن باتَ من ثوبِ الفضائل عاريا

مجامعُ للإرشادِ من حجَّ نحوها ... يكن في الورى من عثرةِ الإثمِ ناجيا

---

(١) التشبيب : التغزل بالنساء.

(٢) يقصد بالقوافي : الشعر.

(٣) المزن : السحابة البيضاء أو الممطرة. والغيث هو المطر.

(٤) الندى : الكرم .

(٥) المؤثل : الأصيل.

(٦) آسياً: مداوياً.

أقامَ لها ركناً أخو الهديِ جامعٌ ... بناها له الحسنى فأعلا المبانيا[1]
عليهِ سلامُ اللهِ كمْ كان ذا تقىً ... وكم كان براً للحوائجِ قاضيا
قضى عُمرهُ مثلَ الزهورِ فعيشها ... قصيرٌ ولكنْ تَتركُ العطرَ زاكيا

* . * . * . * . *

وإنْ شئتَ عداً للكرامِ أولي النُهى ... وكنتَ بذكرِ الأكرمينَ مناديا
فلا تنسَ بالذكرِ المعطَّرِ سيداً ... لِما نالَ من فضلٍ مشى الدهر راويا
جوادٌ عهدناهُ إلى البِرِّ مسرعاً ... إذا عزَّهُ في البرِّ أيدي توانيا
وما النُّبلُ من عبد العظيمِ تطبعٌ ... ولكنَّهُ طبعٌ بهِ عاشَ حاليا[2]
عرفنا لهُ في كل مكرمة يداً ... ونعلمُه للبذل في الخيرِ ساعيا
وهمَّتهُ في الحقِّ دونَ ثباتها ... ثباتُ قويِ الطودِ قد باتَ راسيا
عظيمٌ رفيعُ القدر، يسعى إلى العلا ... ويعشقُ في نفعِ البلادِ التفانيا
لئنْ شئتَ إحصاءً لكلِّ خصالِهِ ... لأعجزتَ عن سردِ الخصالِ المعانيا
ويكفي أباعيدٍ من المجد أنَّنا ... نرى غُصنهُ في دوحة الوفدِ ناميا
وما الوفدُ إلا الحقُّ والقوةُ التي ... تضمُّ صناديداً وتحوي درياريا
رجالٌ نراهمْ ما ارتضوا أن يُذلَّنا ... عدوٌ فجاءوهُ أسوداً ضواريا
يسير بهم للنصرِ إقدامُ مصطفى ... قويُّ الحِجا من عاشَ للنيل حاميا[3]
زعيمٌ أبى أن نقطعَ الدهرَ كلَّه ... عبيداً لأعداءٍ لنا وموالياً
فهبَّ إليهمْ طالباً لجلائهمْ ... ينادي بأنَّ النيلَ ما عادَ غافيا
وجاهدهم باللينِ والحلمِ تارةً ... فما كانَ منهُ اللينُ في الحقِّ كافيا
فأضرمَ نيراناً وأشعلَ ثورةً ... وجرَّدَ أسيافاً وهزَّ عواليا

---

(١) اسم والد الشاعر جامع.
(٢) النائب الشيخ محمد عبد العظيم.
(٣) يشير إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد. وكان الشاعر متأثراً ببيئته ويرى أن حزب الوفد أمل مصر، والمحافظ على مصالحها.

وجمَّع من كلِّ البلادِ كتائباً ... وسيَّرَ جنداً للأسنةِ شاكياً
كذلكَ شأنُ الحرِّ إن ضاعَ حقُّه ... أناةً، فإن لمْ تُغنِهِ قامَ غازيا
فمنْ مثلُهُ في الناسِ يوماً وقد مضى ... يؤدبُ جباراً ، ويكبحُ عاتيا
يذودُ عن الحوضِ الكريمِ بهمةٍ ... وعزمةِ صنديدٍ تهدُ الرواسيا
ويدفعُ عن أرضِ الكنانةِ غاصباً ... ويحمي بحدِّ السيفِ للنيلِ واديا
ويا رُبَّ شرٍ كانَ للشر حاسماً ... ويا رُبَّ داءٍ كانَ للداءِ شافيا
أقامَ غداةَ الروعِ ليثاً مُظفراً ... وعن مصر والسودانَ ردَّ العواديا
ونحنُ لهُ جندٌ نُضحي بنفسِنا ... ونُرخصُ في حُبِّ الكنانةِ غاليا
بذلنا لها الأرواحَ عن طيبِ خاطرٍ ... وسالَ دمُ الأبطالِ أحمرَ قانيا
فلما مضينا في طريقِ جهادِنا ... ملياً وكِدنا أن ننالَ الأمانيا
ولاحَ لنا فجرُ الجلاءِ بضوئه ... فبتنا نَرى النصرَ الذي كان دانيا
تكشَّفَ ما أخفى الهوى من مكيدةٍ ... وأبدتْ لنا الأيامُ ما ظلَّ خافيا
وألقى زعيمُ النيلِ رُمحَ طِعانه ... فخلفَّ صرحاً في الكنانةِ داميا
لقد كانَ سيفاً صادقاً يمحق العدا ... ومضرُبُهُ ما كان بالأمسِ نابيا
وما الذنبُ ذنبُ السيفِ في جوفِ غمده ... لحا اللهُ قوماً ينصرونَ الأعاديا

* . * . * . * . *